

الغُصَّةُ الْأَمِ

للهُرَىٰ فَعَنَدَ اللَّهِ يَعْبُدُ اللَّهُ

ويرى المؤرخون العرب أن الآراميين من أصل واحد مع العرب البائدة أو العرب المارية ويؤكد ذلك ما ورد من أن الملك الآشوري اسرحدون (668 - 625 ق. م.) يشير في كتاباته إلى أن حزائيل ملك العرب إى العرب جاء خاصماً إلى نينوى (1) وحزائيل اسم آرامي كما ذكر الدكتور هوميل أن الآراميين والعرب من عنصر واحد (2)

وقد تقطعت اللغة الآرامية فيما بين النهرين ومارس ووادي النيل وأسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز ويقيت اللغة الرسمية

ان الجزيرة العربية هي منتقى الحضارات السامية التي كانت اقاليم الهلال الخصيب وما وراءه انتصادياً واجتماعياً وثقانياً ولذلك يمكن القول بأن العرب البائدة الآرامية التي ترجع إلى ارم بن سام بن نوح ومنهم قبائل ابراهيم الخليل هم العرب الأصليون الذين وضعوا لجميع الشعوب السامية لغتهم العربية الأم وقد نزحوا حوالي أوائل الالف الثانية قبل الميلاد إلى جنوب العراق واستقروا في مناطق بابل وارتبط الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز (اي بيت الله العتيق) لم يرد في القرآن وحده بل ابرزته الكشفية واللسنيات المقارنة حول المجرات السامية .

1) Rogers, Cuneiform Parallels etc... p. 353

2) F. Hommel, «The Ancient Hebrew Tradition p. 202

كتاب التقاليد العبرية القديمة
ولاحظ كروهمان أيضاً في بحثه عن تاريخ العرب أن الآراميين هم أسلاف العرب .
Encyclopedia of Islam N.E. p. 524

(دائرة المعارف الإسلامية — الطبعة الجديدة من 524)

الشرقية (الakkدية البابلية والاشورية) واخرا لهجات جنوبى الجزيرة العربية وهى المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والامهرية والذى يدل دلالة واضحة في نظر الكثير من خبراء اللغة واللسنيات على ان العربية هي اللغة الاصلية اى لغة بدو الجزيرة العربية ما زالت الى الان اقرب كل لهجات المذكورة الى اللغة السامية الام .

وتعتبر هجرة الاكدين نحو الفرات في العراق اقدم هجرة من هجرات الساميين العرب الذين انتقلوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات وقد نزحت - كما قلنا - جماعات اخرى من جزيرة العرب الى وادى النيل في حدود الالف الرابعة قبل الميلاد ويقال بأنها حملت معها حضارة ارقى من حضارة مصر وهي التي جاءت بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية (6) التي يكون اصلها ايضا عربا مثل الكتابة الكلعانية وعمموا لغتهم مطبوعة بالطبع العربى كما يتجلسى ذلك من النقش مصرية القديمة (7) منها صورة ملونة لامرأة عربية مهاجرة من جزيرة العرب والعموريون العملاقة هم الذين اسسوا الامبراطورية البابلية القديمة (وهي ثاني امبراطورية سامية وقبلها الakkدية) بعد ان نزحوا من جزيرة العرب منتشرين في الشام ومن بينهم ملوكهم وفي طليعتهم حمورابى وهو الملك السادس الذى حكم 42 سنة بين 1792 و 1750 ق . م . وهو صاحب التشريع الشهير الذى يقال بأنه وضع اصلة باللغة العربية .

وقد اتت الاشوريون ثاني امبراطورية سامية وبينما اتجه الكلعنانيون والعموريون والاراميون والاكدين والهكسوس نحو الشام والعراق ومصر مستهدفا بعضهم الفرات - اتجهت الى دجلة قبائل اخرى حوالي او اخر الالف الرابعة او اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد شمالي العراق على يمين دجلة فأسست مدينة اشور وهى عاصمة امارة صغيرة على نسق دويبات المدن الakkدية جنوبى العراق وقد تكلم الاشوريون بلغة سامية قريبة من لغة الاكدين جنوبا وكتبوا بالخط

طوال قرون قبل الميلاد في بابل وآشور وفارس ومصر والشام وبها كتب الانجيل على الارجح وقد قامت الارامية محل الكلعنانية وظلت اللغة المسائدة في القرن السابع ق . م . حيث اختت العربية محلها وعزز الاستاذ دايرنجر (3) هذه النظرية مؤكدا سيادة اللغة الارامية من مصر الى آسيا الصغرى الى الهند وقد ابرز كروهمان علاقة الاراميين وقبائل « العبيرو » بالعرب قائلا :

« ومن المؤكد ان العنصر البدوى في شبه جزيرة العرب وهو على الارجح مصطلح مرادف مع تسمية آرام وعبيرو وخبيرو وجد في الاصل في المنطقة التي تمتد بين سوريا وبلاد ما بين النهرين والتي تعد اقدم مركز للساميين (4) »

وكانت القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية تتكلم كلها لغة واحدة هي العربية الاصلية التي تفرعت الى لهجات احتضنت بخصائصها وسيبت باللهجات او اللغات السامية تميزا لها عن اللغات الآرية والطورانية ومن مميزات اللغة السامية اصولها الثلاثية الاحرف واشتقاقها الناتج عن مجرد تغير الحركات .

ولم يعد هنالك ريب بعد الحفريات والكتوف الاثرية ان عصر ابراهيم الخليل وهو بداية الالف الرابعة قبل العصر الحاضر (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) هو عصر عربى لغته هي السامية . العربية الام فقد انبثق الجفاف الشديد الذى اكتسح شبه جزيرة العرب عن سلسلة من الهجرات منتقلة الكلعنانيين والفينيقيين والعموريين العملاقة منذ ازيد من الف عام قبل عصر الخليل وقد لخص الدكتور احمد سوسة (5) في هذه المعلومات مبرزا تغيرات اللغة السامية العربية الام الى لهجات قسمها اللسنيون الى مجموعات هي السامية الغربية بعناصرها الكلعنانية والفينيقية والمؤابية والعبانية والسامية الغربية الشمالية (العمورية والارامية) والسامية

3) D. Diringer the Alphabet 1948 p. 253

وقد اشار الدكتور احمد سوسة الذي نقل عنه الى عشرات المصادر الاجرى

4) A. Grohmann, «The Arabs», the encyclopedia of Islam, New Ed. p. 525

في كتابه «العرب واليهود في التاريخ» طبعة

وزارة الاعلام العراقية 1972 .

.

(5) الدكتور محمد عزة دروزة « تاريخ الجنس العربي » ج 1 ص 26 .

(6) تاريخ مصر لبرистد والحضارة المصرية لغوستان لوبون وتاريخ المدنية المصرية لغوستان

بيكى الخ .

السينائية وهذه الأبجدية هي التي تفرعت عنها الأبجديات منها الفينيقية والقرطاجية والبونية والليبية والإرامية والنبطية والعبرية ويندرج الشمال الأفريقي في هذه المجموعة العربية لأن اللغة البوונית *Langue punique* في المغرب العربي وقد عثر على رخصة في البرازيل تحمل تاريخ 125 ق.م. أشار إليها الدكتور البرازيلي أديلونينتو وضمنها كتابه *الانتروبيولوجيا* (9) وهي مكتوبة باللغة البوانية التي تورنت مع ترجمتها العربية فللاحظ أنها لا تختلف عن لهجة تونس خاصة ودارجة إفريقيا الشمالية عامه وعند ما دخل الموسويون أرض كلمان وجدوا قبيلة كتمانية يترעםها نبي كتماني يدعى بلعام ينشر فكرة التوحيد ويتمتع بمكانة روحية سامية (10).

وقد ألف مارينوس الصوري *Marinus of Tyre* كتاباً في الجغرافيا ووضع خارطة للعالم عام 120 للميلاد كانت تستند إلى معلومات جغرافية فينيقية ويرى رولنسون (11) أنه كان أول كاتب في الجغرافيا اتخذ الطريقة العلمية الرياضية في صنع الخرائط المستندة إلى خطوط الطول والعرض وعليه ارتكز بطليموس:

وكان القرطاجيون مثل الفينيقيين يتسمون بالكمانيين (12).

وآخر من هاجر من الجزيرة العربية الانباط وهم تبائل بدوية انتشرت منذ القرن السادس قبل الميلاد شرق مملكة الاردن الحالية واقتبسوا من الإراميين ثقافتهم وتآثروا بلفتهم حتى غلت الإرامية عليهم ولمجتمعهم هي التي تطورت منها لغة القرآن كما أن خطهم هو خط كتبة الوحي وهو القلم النبطي المقتبس من القلم الإرامي القديم.

وهكذا يمكن القول بأن الساميين عرب ولغتهم التي هي اللغة الأم هي اللغة العربية والنصوص كلها

المسماى لغتهم الآشورية وينتهي حكم آشور القديمة في نهاية مملكة بابل القديمة عام 1595 ق.م. وأمتد المهد الآشوري الوسيط من 1595 إلى 911 ق.م. والمهد الحديث من 911 إلى 612 ق.م. (اتكونت خلال هذه الفترة إنبراطورية سامية ضمت مجموع الشرق الأوسط ومن ضمنه آسيا الصغرى وسواحل آيا جة ومصر والخليج العربي وعيلام وقد سقطت نينوى عام 612 ق.م. وقد اهتم الآشوريون بالفنون الجميلة والآداب وتركوا في خزانة الكتب السواح الطين التي انشأها الملك آشور باتيال (669 - 626 ق.م) الذي أخضع مصر كلها لحكمه، وقد عثر على نحو 25 ألف رقم حضاري في الحفائر حفظت في المتحف البريطاني.

اما الكلدانيون (الإراميون) فيرجع اصلهم الى شواطئ الخليج العربي جنوب العراق وقد اسسوا رابع إنبراطورية سامية دامت 73 سنة بعد سقوط نينوى وسميت سلالة بابل الحادية عشرة وكان لهم ضلع في تقوية علم الفلك وهم أول من جزا الواحد الصحيح إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية وال الساعة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية ووضعوا أول التقاويم الفلكية العالمية وعنهم اخذ فيثاغورس كما برعوا في فن التصوير ورسم الصور عليه

واعظم ملوكهم بنو ختنسر (605 - 562 ق.) الذي قضى على مملكة بيدوا وسيبي اليهود إلى بابل وفي هذا العصر بالذات بدا التأثير العربي على بابل وما وراءها (8)

والكلدانيون العرب هم مخترعوا الحروف المجانية الالنبائية وعنهما نقلها الفينيقيون ثم اقتبسها من هؤلاء منذ منتصف القرن التاسع الميلادي الأغريقيون واللاتين وكتابات اللغة الكلمانية القديمة هي طلة الوصل بين الهيروغليفية (المكونة من خمسينات صورة تكتب من الجمات الأربع) وبين المسماية والآبجدية

(8) راجع بحثنا « الفكر الصوف واصوله » في العدد الثالث من « اللسان العربي » (1385 هـ 1965 م)

(9) أشار إليها الاخ الاستاذ توفيق المني في مجلة « تقويم المتصور » (العدد الثالث عام 1348 هـ) (راجع بحثنا في مجلة اللسان العربي عدد 3 - 1384 م - 1965)

(10) الاصحاح 22

Rawlinson - Phoenicia p. 404, 548

(11)

Univ. Jewish Encyclopedia - vol. II p. 651 (12)

التي جاسوا خاللها ومنها سليمان الذى لم يكن يهوديا وإنما كان اشوريا وهو شليها نصر ولو كان سليمان يهوديا لاستحالته — كما يؤكّد برنار — الصادقة مع ملكة سبا العربية بل إنك بروكلمن ان هؤلاء اليهود قد تعمدوا اقحاء الكهانين من جدول انساب سام اي من السلالة السامية ..

ويرى بعضهم ان اسم يهود الله اليهود نفسه هو اسم احد آلهة البدو الشماليين في جزيرة العرب وكان الكاهن الكتعانى ملك اورشليم يدين بالتوحيد كما كانت لغة داود وسليمان هي الكتعانية العربية التي اقتبسها الموسويون من بنى كعنان بعد دخولهم ارض فلسطين فكانت هذه المطبيات الكتعانية لغة وحضارة هي قوام التراث العربى وفي ضمنه التوراة الجديدة وقد سمى النبي اشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد اللسنة كلها وفي ضمنها العبرية شفة كعنان اي لسان كعنان كما يقول منتهيول استاذ جامعة ميسيسفان الامريكية بنقل الدكتور سوسة على ان كلمة « عبرى » نفسها ومثلها « عبرو » او « خبiero » قد وردت في الكتابات القديمة وكان يراد بالعربين القبائل البدوية العربية وبذلك يوجه وصف ابراهيم الخليل في التوراة بالعبرانى ويؤكد هذه الحقيقة ما ورد في دائرة المعارف البريطانية (14) من ان استعمال كلمة عبرى بمعنى يهودى يرجع الى الحاخامين بفلسطين في عهد متاخر على أنه تم العثور على كتابة من عهد رعمسيس الثاني وهو فرعون الذى وقع الخروج Exode في عهده سميت فيها بقايا المكسوس بـ « العبريو » والمقصود هنا القبائل العربية البدوية وهى التسمية التى عرف بها المكسوس عند المصريين واسرائيل نفسها كلية كتعانية عربية اطلقت على موضع في فلسطين واشارت اليها في « هذا السياق كتابات مصرية قبل بعثة سيدنا ارض فلسطين الكتعانية العربية هي مجرد لحدة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اغترابوا اليها نازحين من حaran او حران الحالية .

وكثير من التعبير والاسماء التي يظن انها عبرية الاصل هي في الحقيقة عربية تذكر منها على سبيل

مجمعة على هذه الحقيقة ، أما العبرية فهي لهجة
سامية متأخرة .

وقد تأكّد من جهة أخرى أن اليهود هم بقىّا يهودا
الذين نقلهم نبوخذنصر إلى بابل قبل الميلاد بستة قرون
وقد تكلّم الموسويون في الأصل الهبروغليفيّة التي دونت
بها شريعة موسى ووصاياه العثرة لأنها كانت لغة بلاط
فرعون حيث تربى موسى ولم يعتر لحد الآن على أي
اثر لهذه الشريعة الموسوية الأصيلة لأن التوراة
المتداولة اليوم ليست سوى ترجمة عبرية مشوهّة
مقتبسة من الآرامية يرجع تاريخ هذه التوراة اليهودية
التي لا علاقة لها بتوراة موسى إلى عهد الاسر البابلي
بعد ظهور موسى بثمانمائة سنة على أن يونس ارسل
إلى مائة الف أو يزيدون من أهل نينوى في القرن
الناسع قبل الميلاد مكان ذلك انطلاقة أولى للموسوية
في أرض الاشوريين .

ويرى العالم اليهودي سيلفر (13) في كتابه «موسى والتوراة الأصلية» أن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى وحتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء أنها الشيء الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية لم يكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى أتى بها موسى

وظاهرة التشويه في هذه التوراة المزيفة اشتمالها على شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبسة من الشرائع الكنعانية والبابلية وخاصة شريعة حمورابي كما ابرز ذلك البروفسور ووتر من استنادا الى تحقيقات اركيولوجية على ان مزامير داود نفسها مشوهة وكذلك كل ما ورد في المهد القديم لغبطة الطابع الكنعاني العربي عليه حتى من حيث اللغة اذ لم تترجم الى العبرية مدرجة في التوراة الا في عصور لاحقة فاللغة العبرية لم تكن اذن من اصول المهمات السامية بل ليست هي نفسها سوى اقتباس من الارامية حفظت لنا كثيرا من مظاهر الحضارة الكنعانية العربية .

وقد أكد الكاتب الفرنسي جان لويس برنار I. L. Bernard أن الأخبار عبرنا كل ما اقتبسوه من تواريخته الاقتباس

A. H. Silver, Moses and the original Torah N.Y., 1961 (13)

وقد اشار الدكتور احمد سوسة ايضا الى مرجع آخر هو « الاسس التاريخية للمقيدة اليهودية » 1969 من 8.

طبعة 1965 ج 11 ص 279 (14)

منها جميع هذه اللغات هي على اغلب الاحتمالات اقدم لغة في العالم ما زالت حية حتى يومنا هذا ٠

وقد لاحظ الدكتور جواد على في كتابه « الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » (ج ١ ص ٢٥٥) ان جماعة من المستشرقين ترى ان اللغة العربية على حداثة مهدها بالنسبة إلى اللغات السامية الأخرى هي اقرب اللغات السامية الباقية للدراسة لأنها لغة لم تختلط كثيرا باللغات الأخرى فبقت في مواطنها المعزولة اصنى من غيرها محافظة على خواص السامية القديمة

وقال فيلبي في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » (الاستكبارية ١٩٤٧ ص ٩) : « انني اعتبر بلاد العرب الجنوبية (ومن ضمنها اليمن) هي الوطن الاصلي لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة العربية » ثم لاحظ انهم هاجروا بسبب الجفاف الذي ظهرت بوادره بعد العصر الباليوليتي و هو العصر الحجري القديم الذي يبدأ قبل ٣٥ الف سنة نحو الشمال الى اطراف الهلال الخصيب ٠

وايد الاستاذ فيلبي خبير اثريولوجى آخر هو الدكتور هنرى فيلد ملاحظا « ان اليمن وعدن كانتا مأهولين بالسكان في العصر النبولوثي (وهو العصر الحجري العتيق المحدد بين ٧٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق م) ٠ هاجر منهم الى عمان والذيليج وآخر الى الصومال وكينيا وتنجانيقا وفريق ثالث الى نجران وسيناء وفلسطين ٠

وقد لاحظ الرحالة الالمانى شوينفорт ان القمح والشعير والجاموس والمعز والضأن والماعشة وجدت في حالتها الابدية في اليمن وببلاد العرب القديمة قبل ان تستأنس في مصر والعراق (١٨) ٠

المثال فقط تسمية اورشليم (اي القدس) التي وردت في الكتابات الكتيعانية او رسائل العمارنة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد (اي قبل عصر موسى بنحو مائتين سنة) وقبل ظهور العربية ومدوناتها ومنها توراة اليهود (لا توراة موسى) بأزيد من ألف عام وقد ورد ذكرها عبر الشعر الجاهلي في شكل اوريشم كما اعترفت التوراة نفسها في نص صريح بعدم وجود اية صلة بين اليهود وهذه المدينة (١٥)

و « موسى » اسم مصرى قديم لا صلة له بالعبرية ولا بالعربين وقد ورد ذلك احد فراعنة مصر باسم « آح - موسى » وهو مؤسس السلالة الثانية عشرة (١٥٨٠ - ١٥٤٦ ق . م) كما ان الكاهن الاعلى لمدينة منفيس عاصمة مصر الشهورة في عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق . م) كان يدعى « بتاج موسى » (١٦)

وتنشر فيما يلى بعض النصوص التي تشهد بعروبة الساميين :

فقد اكد سبرنجر Sprenger ان جميع الساميين عرب (١٧) :

وقال الاستاذ اوستيد في كتابه « تاريخ فلسطين » (ص ٣٦) : « ان البدو العرب كانوا اول من تكلم باللغة السامية واذا اردنا ان نفهم الخصائص الاصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعليينا ان نتجه الى العربي ابن البابية السورية الذي يجب شمال جزيرة العرب لأن هؤلاء وحدتهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون ان يطروا عليها اي تغيير » وقد ايده المستشرق عبد الله قلبى في كتابة « تاريخ العرب قبل الاسلام » حيث قال : « ان اللغة العربية التي يعترف الخبراء في كونها اقرب من جميع اللغات السامية الى اللغة الام الاصلية التي اشتقت

-
- (١٥) الدكتور احمد سوسة (مقدمة كتابه المذكور)
 - (١٦) ادولف ارمان « ديانة مصر القديمة » الترجمة العربية من ٢٩ - ٣١٤ (نقل عن كتاب العرب واليهود في التاريخ) « المقدمة »
 - (١٧) الدكتور على حسني الخريوطى « العرب والحضارة » ص ١٣ ٠
 - (١٨) العقاد - « اثر العرب في الحضارة الاوربية » القاهرة ١٩٦٠ ص ١١ ٠